الصراع الكمي الكيفي .. رجعية منهجية، وفرملة للبحث العلمي في البيئة الرقمية

The quantitative qualitative struggle is a methodological retroactive and a brake on scientific research in the digital environment

د. هشام بطاهر

جامعة محمد الصديق بني يحيى (جيجل)

Hicham.betahar@univ-jijel.dz

تاريخ الاستلام: 2021/12/01 تاريخ القبول: 2021/12/05

الملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى إبراز أهم العوائق التي تؤثر على البحث العلمي في البيئة الرقمية، خصوصا الصراع الكمي الكيفي الذي يتعامل مع البحث المرن بفكر ميكانيكي، وإظهار أهم الأسباب التي تقف عائقا أمام البحث العلمي بخصوصيته الرقمية.

تشير الدراسة إلى أهمية التأسيس النظري كخطوة أولى من أجل إعطاء العلمية لأي مجال بحثي مع شرح الخطوات العملية لذلك، كم تدعو إلى ضرورة استخدام مناهج جديدة في هذه البيئة الجديدة، وتقدم مجموعة من المبررات العلمية أهمها بداية زوال الأدوات البحثية التقليدية، والخصائص الجديدة للعينات.

تتطرق الدراسة إلى أهمية المناهج الرقمية في البيئة الرقمية، وتنتهي بتقديم نموذج عملي لطريقة دراسة الظواهر العلمية في البيئة الرقمية.

الكلمات الدالة : الكمي – الكيفي – المنهجية – البحث العلمي – البيئة الرقمية.

Abstract :

This research paper seeks to highlight the most important obstacles that affect scientific research in the digital environment, especially the qualitative quantitative conflict that deals with flexible research with mechanical thought, and to show the most important reasons that stand in the way of scientific research with its digital privacy.

The study indicates the importance of theoretical foundation as a first step in order to give scientific knowledge to any research field with an explanation of the practical steps for that, how much it calls for the need to use new approaches in this new environment, and provides a set of scientific justifications, the most important of which is the beginning of the demise of traditional research tools, and the new characteristics of samples.

The study addresses the importance of digital curricula in the digital environment, and ends with providing a practical model for the way to study scientific phenomena in the digital environment.

Key words: quantitative - qualitative - methodology - scientific research - digital environment.

1. غياب مأسسة الفعل التنظيري وإعادة أخطاء الماضي الإبستيمي :

يتطلب تأسيس أي علم استيفاء ثلاثة شروط؛ موضوع، منهج ونظريات، وهو ما شهده حقل الإعلام والاتصال خلال العقود الماضية، وبالضبط خمسينيات القرن 20 الذي شهد توجها كبيرا في هذا المجال (بطاهر، 2018، 220).

تتعلق العبارة السابقة بما يعرف في الأوساط الأكاديمية بالميتاثيوريك، وهو العلم الذي يهتم بالمرحلة التأسيسية لنظرية ما، خاصة أن النظرية أهم من المنهج ومن الموضوع، لأنها أسبق على المستوى الكرونولوجي والابستيمي، فالموضوع دون نظرية لا يمكن أن يكون أكثر من مجموعة من المعارف التي تتموقع في خانة الحس الشعبي، كما أن المنهج دون نظرية علمية يجرد الموضوع العلمي من علميته هو الآخر، وبالتالي فإن النظرية تعد أوكد نقطة معرفية من أجل بناء معرفة علمية حقيقية في الحقل العلمي بنسخته الرقمية، كما أن الفعل التنظيري أو المأسسة للفعل التنظيري في أي علم بشكل عام والبيئة الرقمية في علوم الإعلام والاتصال بشكل خاص، عليها أن تباشر التأسيس العلمي والسليم لذلك انطلاقا من تأسيس مقاربات ونظريات تعمل على فهم وتفسير موضوع البيئة الرقمية وتبرز المناهج التي تتناسب وروح النظرية.

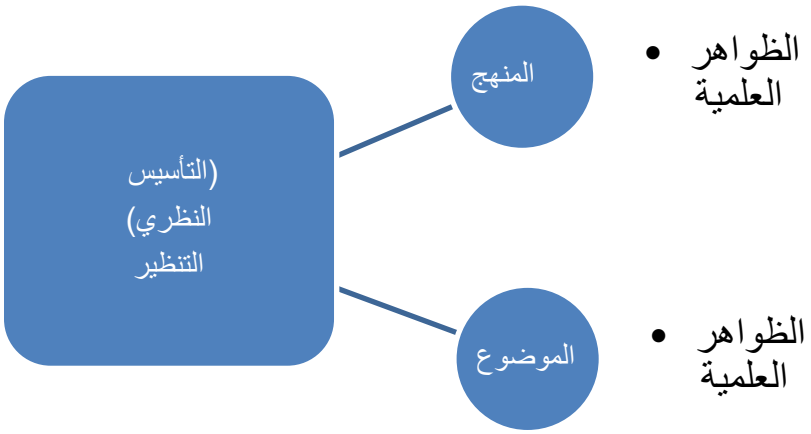

الشكل رقم 1 يمثل علاقة الفعل التنظيري بباقي خطوات البحث العلمي[1]

يبرز الشكل (1) أعلاه الأسبقية التي ينبغي أن يتصف بها الفعل التنظيري في كل علم من العلوم سواء كان ذلك متعلقا بالعلوم الإنسانية الاجتماعية أو العلوم التقنية والطبيعية، حيث أثبت تاريخ العلم أن هذه الأخيرة قد اكتسبت علميتها من الأهمية الكبيرة التي توليها للنظريات في تخصصاتها.

كما أن أسبقية الفعل التنظيري على الفعل المنهجي في البيئة الرقمية من شأنه أن يحدثا شرخا علميا في وصف الظواهر، والقدرة على تفسيرها وتحليلها بالشكل العلمي المطلوب، تبعا للمعادلة الآتية:

الفعل التنظيري – الفعل المنهجي ≥ 0[2]

يمكن تبسيط العبارة التالية بالقول: إذا كان الفعل التنظيري أسبق من الفعل المنهجي فهنا يكون المنهج قد استلهم أدوات تطبيقه على الموضوع من النظرية المقدمة وتتم المعالجة العلمية بمنطقية وتستجيب لخطوات التفكير العلمي السليم.

الفعل التنظيري – الفعل المنهجي ≤ 0[3]

[1] شكل خاص بالباحث.

[2] معادلة خاصة بالباحث.

[3] معادلة خاصة بالباحث.

المعادلة أعلاه تعني أن الفعل المنهجي أسبق من الفعل التنظيري وهنا يقع الكثير من الباحثين في مأزق إيجاد تفسير وشرح لمختلف الظواهر البحثية المدروسة، وهو الحال مع البيئة الرقمية التي باشر مجموعة كبيرة من الباحثين في استعارة المناهج الكلاسيكية وتطبيقها على مواضيع البيئة الرقمية فتكون النتيجة وخيمة على مستوى مخرجات البحوث العلمية، وعدم تناسقها مع أي نظرية معينة.

وقد انتبه بعض الباحثين إلى أهمية استحداث نظريات جديدة لدراسة الظواهر الإعلامو-اتصالية في البيئة الرقمية من خلال سعيهم الحثيث لتقديم محاولات نظرية ترقى لتفسير الظواهر الرقمية.

في هذا الصدد يشير الباحث كوفر بالقول: "تفتح أشكال الوسائط الجديدة العديد من الاحتمالات ليس فقط لتطوير "نظرية الوسائط الجديدة" ، ولكن أيضًا لإعادة تصور العلاقات الإعلامية السابقة.(Cover, 2004, p. 173)

من خلال ما أشار إليه الباحث يتضح جليا أهمية الفعل التنظيري ليس في بداية تفسير الظواهر الرقمية فحسب، بل أيضا داخل محيط التفاعلات التي أحدثتها البيئة الرقمية من خلال إشارته إلى تغير العلاقات الإعلامية الذي يتطلب تأسيس نظريات تتماشى وتعقيد هذه الظواهر، وإلا فإن الاكتفاء بالنظريات الكلاسيكية سيجعل الباحث عاجزا عن الوصف الدقيق والفهم العميق للظواهر الرقمية.

بإحساس الباحثين بضرورة إنتاج مادة تنظيرية (نظريات) جديدة في البيئة الرقمية لعلوم الإعلام والاتصال، برزت إلى السطح بعض المحاولات المختلفة من أجل الضبط الأمثل لطبيعة الظواهر ودراستها تبعا للمتغيرات المتحكمة فيها.

وفي هذا السياق نجد إحدى الورقات البحثية تقترح إطارًا نظريًا يصف استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بالاعتماد على فينومينولوجيا هايدجر، والتي قد يشار إليها باسم "الحوسبة الظاهراتية"، حيث

يسمح هذا الإطار بدمج مجموعة من النظريات النموذجية في المنظور النظري الجديد. (Qi, Monod, Fang, & Deng, 2018, p. 100)

لا شك أن الحوسبة والمعلوماتية وكل ما تعلق بعلوم الكمبيوتر من شأنه أن يساعد المشتغلين بالحقل التنظيري في البيئة الرقمية، خاصة إذا تم التسليم أن النظرية في نهاية المطاف إنما تمثل فكرا لروح الموضوع وروح المنهج معا، ومادامت الحوسبة جزءً أساس من الظاهرة المدروسة فإن النظرية من باب أولى أن تتصف بهذه الهوية الابستيمية قصد إحداث توازن، وانسجام بين كل مكونات الفعل البحثي بشكل عام الذي يبدأ بتبني النظرية ويعالج الموضوع عبر توظيف المنهج الأنسب، في مسار كرونولوجي متسق وأهداف كل بحث علمي.

كما لم يتوقف أهل الاختصاص عند حدود ضرورة توظيف النظرية كخطوة أولى في البحث العلمي، بل تعدّاه إلى ضرورة الاستشراف العلمي لطبيعة العلاقة بين الظواهر المختلفة المشكلة للبيئة الرقمية، باعتبار الاستشراف هدفا من أهداف البحث العلمي.

يعتبر مورينو وكوف أنه ومن أجل فهم ديناميكيات المشاركة عبر الإنترنت اليوم، يجب علينا تصور المجالات التي تتوافق فيها نظرية الوسائط التقليدية مع ممارسات الوسائط الجديدة. (Moreno & Koff, 2016, p. 131)

تأخذنا فكرة مورينو وكوف إلى فكرة استخدام النظريات الخاصة بالوسائط التقليدية مع المواضيع المتعلقة بالوسائط الجديدة، وإن شكلّت هذه الفكرة حلا ترقيعيًّا في بدايات الدراسات الإعلامية الخاصة بالبيئة الرقمية إلا أنها أثبتت عجزها في التفسير الأمثل لهذه الظواهر، حيث يتم الدفع بفروض النظريات الكلاسيكية دفعا من أجل أن تتماشى ومقاس الظواهر الجديدة، بل توصل الأمر بالكثير من الباحثين إلى إلباس هذه النظريات لمواضيع تختلف كلية عن مقاسها ومعطياتها، سيما مع الاختلاف الكبير بين كل العناصر المشكلة للبيئة الإعلامية كلاسيكيا ورقميا (المرسل في البيئة الكلاسيكية التقليدية ليس

هو نفسه المرسل في البيئة الرقمية، وخصائص الجمهور في البيئة التقليدية تختلف بشكل كلي عن المرسل في البيئة الجديدة، والتشويش الموجود لدى شانون المتعلق بالآلة لا يماثل التشويش الموجود في السياق الرقمي).

مثّل ظهور الإنترنيت قفزة نوعية واختلافا جذريا في طبعة الاتصال ومواصفات العملية الإعلامية، غير أن ظهور مواقع التواصل الاجتماعي جعل البيئة الإعلامو-اتصالية تختلف كل الاختلاف عن سابقاتها، ودقت جرس التغيير على مستوى التفكير بقصد فهم العملية بمعطياتها الجديدة، وقد شكلت وسائل التواصل الاجتماعي منعرجا حاسما في الضغط على المهتمين بالتنظير بضرورة وضع الأسس الأولى للتأسيس لمختلف النظريات المفسرة للظواهر الاتصالية في بيئتها الرقمية.

كان من المتوقع أن يكون الإطار المفاهيمي لوصف تأثير الفيسبوك Facebook معقدًا؛ لذلك سعى المحققون إلى إتباع نهج تحليلي من شأنه استيعاب هذا التعقيد. (Moreno & Koff, 2016, p. 135)

نظرا للاستخدام الكبير لموقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، فقد مثل أحسن مثال من أجل دراسة وتجريب مختلف النظريات التقليدية الكلاسيكية أو غيرها، من أجل التأكد من قدرة هذه النظريات على الفهم والوصف والتفسير من عدمها، ولأجل ذلك جاءت مجموعة من المداخل الخاصة بالإعلام الجديد كمحاولة تنظيرية تنتظر تأكيدها أو تفنيدها بعد الإطلاع على نتائج الدراسات اللاحقة التي تبنت هذه المداخل، من خلال مؤشر ثبات النتائج في مجال رياضي معين مقارنة بتغير الفاعل الزمني والمكاني والبيئي الإعلامي.

2. بيئة جديدة ..مناهج جديدة:

مما لا شك فيه أن البيئة الرقمية في علوم الإعلام والاتصال في عصر مواقع التواصل الاجتماعي، تختلف تماما عن البيئة الإعلامية خلال العقود الماضية من القرن 20، سواء على مستوى طبيعة

العلاقات بين مكوناته، أو مضامينه، أو حتى العناصر المكونة له، وهذا ما يعني أن الباحثين أمام تحد علمي كبير يتمثل في إيجاد خوارزمية منهجية جديدة تتماشى والنظريات المستحدثة من جهة، وطبيعة المواضيع والمشكلات البحثية من جهة أخرى.

عجزت المناهج الكلاسيكية القديمة عن تفسير الظواهر الإنسانية الجديدة، مما يفرض على المناهج ضرورة التجديد لمجاراة الجدة في الطرح وحداثة الموضوع الواجب توفرها في البحوث العلمية، وعلى سبيل المثال أصبح المنهج الإيثنوغرافي غير كافٍ لدراسة الإثنيات والسلوك الإنساني بكل تشعباته، فتشكل الإثنيات الإلكترونية والجماعات الإلكترونية والفرد الإلكتروني يفرضون على المنهج الإيثنوغرافي تغيير نظرته وتعديلها وفق مميزات وخصوصيات هذا المجتمع الجديد وإدخال بعض البرامج المنهجية الإلكترونية التي تساعده على التعرف على بعض سمات المجتمع والعلاقات الترابطية بين وحداته كما تمده ببعض المعادلات التي تضع الباحث أمام الصورة الواقعية لمجتمع البحث المدروس. (بطاهر و حمدي، الأصول النظرية للدراسات الايثنوغرافية في الإعلام الجديد، محاولة لتقسيم مستويات التحليل حول تطبيق الماسنجر، 2021، صفحة 23)

إن موضوع الإيثنوغرافيا والنيتنوغرافيا يعتبر أحسن مثال لتغير الأبعاد والمؤشرات المتعلقة بالبيئة الإعلامية تقليديا (في السابق) ورقميا (الآن)، حيث الفضاء المعيشي يختلف من المجال الإلكتروني إلى المجال التضاريسي، والعادات والتقاليد تقابلها الوسوم والهاشتاغات، والكلام والكتابة تقابله الإيموجي، والتسجيلات الصوتية والمرئية، والرموز التعبيرية؛ ما يؤكد يقينا أن البيئة قد اختلفت بشكل كلي، وعليه تستوجب علميا أن تدرج مناهج جديدة لدراسة ذلك.

بعد مؤتمر جمعية الاتصال الأسترالية والنيوزلندية لعام 2014 في ملبورن بأستراليا، أصبح من الواضح التركيز على عمل أعضاء الجمعية وترسيخها حول أساليب الوسائط الرقمية، وفي الوقت الذي

يطبق بعض الباحثين منهجيات على نطاق مصغر، لدى العلماء الآخرين فضول حول كيفية مواءمة المنهجيات الرقمية الناشئة مع ممارساتهم البحثية. (Hutchinson, 2016, p. 1)

يمثل مؤتمر ملبورن نواة حقيقية لإبراز فلسفة المناهج الجديدة لدراسة الظواهر الرقمية بين ثنائيتي المنهج الجديد والموضوع الجديد، فمنهم من يتوجس من صعوبة تطبيق المناهج في هذه البيئة، وبين من يركز على الموضوع المراد دراسته والطريقة المثلى لدراسته منهجيا.

في عالم رقمي يسمى العالم الافتراضي، وفرت مواقع الشبكات الاجتماعية المنصات لبناء اتصالاتنا وعلاقاتنا مع الناس من مختلف أنحاء العالم، إذ يتمثل الاختلاف الأساسي في كوننا نتواصل عبر شبكة التواصل الاجتماعي الواقعية من خلال التواصل وجهاً لوجه، وفي مواقع الشبكات الاجتماعية لسنا بحاجة إلى إقامة اتصال وجهاً لوجه من أجل بناء مثل هذه الشبكة مع الأشخاص. (Chakraborty, Anbarasan, Pegu, & Boruah, p. 34)

الاختلاف الأساسي الذي أشارت إليه الفقرة السابقة يبيّن بما لا يدع مجالا للشك التغير الحقيقي الحاصل في البيئة الإعلامية من نسختها التقليدية إلى نسختها الرقمية، وإن كان دور المناهج دراسة الظواهر العلمية الموجودة فإنه يتوجب عليها أن تتغير تبعا لتغير البيئة، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار التوافق بين طبيعة البيئة وطبيعة المنهجية التي تدرس البيئة.

وهذا التحول لم يقتصر على مستوى الاتصال الثنائي أو الجمعي فقط، بل تجاوزه إلى اتصال المؤسسات والعلاقات العامة وما يندرج تحتها من عمليات مرتبطة بالاتصال والعلاقات العامة كالتسويق.

غيّرت وسائل التواصل الاجتماعي في البداية طريقة تواصلنا مع الأصدقاء والعائلة، ولكن أصبح من الواضح الآن أنها تؤثر أيضًا على كيفية تفاعلنا مع العملاء، ولكن نظرًا لأن وسائل التواصل الاجتماعي تخلق فرصة جديدة، فإنها تتطلب أيضًا تحولًا في التفكير بشأن التسويق ومقاييس النجاح. (Alam, Choudhury, & Shabnam, 2013, p. 20)

إن ضرورة استحداث مناهج ومنهجيات جديدة أصبحت تحمل طابعا إلزاميا بالنظر إلى الباحثين السابقين إلى الموضوع، بالرغم من اختلاف التعبير وزوايا المعالجة التي ركزت عليها كل دراسة من الدراسات السابقة التي عُنيت بمعالجة الموضوع، ولذلك فإن التحول في التفكير بشأن التسويق ومقاييس النجاح المذكور آنفا، يدل على أن العملية الخاصة بالفعل المنهجي تتطلب فلسفة خاصة تتماشى مع المقاربة النظرية أو النظرية كمرحلة أولى، مع توافقها مع تساؤلات وأهداف موضوع البحث كمرحلة لاحقة.

ما جاء به بيير بورديو يدعم وبما لا يدع مجالا للشك أن الاختلاف بين البيئتين الإعلاميتين التقليدية والرقمية اختلاف ميكانيكي لا يمكن الجمع بينهما وفق منهج تقليدي مستحدث أو نظرية تقليدية مستحدثة، وإنما يتطلب الأمر نظريات ومناهج جديدة من أجل دراسة الظواهر الجديدة.

يختلف رأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت عن رأس المال الاجتماعي الضخم بسبب النطاق الواسع للأشخاص الذين يمكن الوصول إليهم على الفور عبر الإنترنت (Qi, Monod, Fang, & Deng, 2018, p. 98) .

نلاحظ أن اتساع وضيق رأس المال الاجتماعي لا يرتبط بالحجم فقط، وإنما يؤثر في طريقة الوصول إليهم، ولذلك فإن وظيفة المناهج هنا ليس قياس مختلف العناصر المشكلة للعملية الإعلامية مثلما هو الأمر في البيئة التقليدية، وإنما الأمر يرتبط باستحداث مناهج متجاسرة تعمل على قياس العناصر والعلاقات الموجودة بين العناصر سيما مع الطابع التفاعلي الذي يشكّل ميزة أساسية في بحوث علوم الإعلام والاتصال بالبيئة الرقمية.

3. نحو أفول الأدوات البحثية التقليدية

يمثل تغير السياق العام في البيئة الإعلامية والاتصالية الرقمية أهم العوائق التي تواجه الباحثين المختصين في المنهجية بسبب ضعف الأدوات البحثية التي تفسر مختلف الظواهر في الحقل الرقمي، وهو ما يشير إليه الباحث جوناثان في ورقته البحثية بقوله:

"في حين أننا قادرون على تحديد المحادثات ذات الاهتمام العام وكيفية إبلاغ "القضايا"، لا تزال هناك مشكلة كيفية دمج السياق الثقافي (الفكاهة ، والجغرافيا ، والتاريخ ، وما إلى ذلك) في فهمنا لمجموعات بيانات الوسائط الاجتماعية الكبيرة، علاوة على ذلك ، فإن التحول المتزايد بعيدًا عن الاتصال المستند على النص نحو الأساليب المرئية ، مثل الإنستغرام Instagram ، يثير لغزًا منهجيًا. (Hutchinson, 2016, p. 4)

إذا قام باحث بدراسة المجموعات البؤرية أو المجموعات النيتنوغرافية بأداة الملاحظة (الورقية) فالأكيد أن مجموع ما سجله ويسجله لا يتعدى ملاحظات شخص عادي بعيد الروح العلمية، لأن التناقض الإبستيمي كبير جدا والشرخ المنهجي أكبر، فالمبحوث في البيئة الرقمية لا تحكمه عوامل الجغرافيا والعادات والتقاليد ولا تضبطه مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالأسرة والمجتمع والمدرسة والمسجد مثلما هو الحال بالنسبة للمجتمعات غير الرقمية (الإنسان في البيئة المعيشة)، بل تؤثر فيه جملة من الخصائص الرقمية، كتدفق الإنترنيت، عدد الأصدقاء والمتابعين بمواقع التواصل الاجتماعي، طبيعة الاهتمامات الرقمية وهنا يستلزم الأمر استحداث أداة منهجية تراعي كل هذه الخصوصيات المميزة للظاهرة الإعلامو-اتصالية في بيئتها الرقمية.

قصد تأسيس منهجية راديكالية جديدة تعهدت شركة Global Technography بوضع الخطوط العريضة واختبار منهجية حديثة لفهم التجربة البشرية في سياق يتسم بوساطة عالية، وقصد القيام بذلك ، تخلل تطور الحجة الفلسفية مع انعكاس إثنوغرافي تلقائي، بالتناوب بين عدة فقرات من التأطير النظري.(Powell, 2010, p. 1026)

أوجد الباحث **باول** مصطلحا خاصا بالمنهجية التي يتوجب الاعتماد عليها في البيئة الرقمية والتي أسماها المنهجية الراديكالية، وهي ما تعطي إشارات مهمة إلى أن المنهجية المستخدمة في بحوث البيئة الرقمية تختلف اختلافا كليا عن نظيرتها في البيئة التقليدية.

4. لا عينة في البيئة الرقمية

يشير مصطلح الهوية إلى السمات الفردية بما في ذلك الخصائص الديموغرافية والجغرافية والاجتماعية والثقافية الخاصة بالفرد، فهو يعطي فكرة عامة عن هويتك، ومجتمعك، ولغتك، وثقافتك، وما إلى ذلك، وهي أجزاء من هويتك التي تمثلك ككيان فردي. (Chakraborty, Anbarasan, Pegu, & Boruah, p. 42)

إن هذه الخصائص المتعلقة بالهوية بشكل عام والعينة محل الدراسة بشكل خاص، قد بدأت بالزوال في البيئة الرقمية، ولم يعد للعينة انتماء جغرافي، أو لغة أو ثقافة ما، ففي البيئة الرقمية تشكل هذه الخصائص عنصرا غير ثابت وبالتالي فإن الخصائص المميزة للعينة أو العينات غير متوافر، حيث تتغير على المستوى المكاني (من الفيسبوك إلى التويتر، إلى اللينكدن) كما تتغير زمنيا من فترة لأخرى، الاستخدام الليلي والنهاري، الاستخدام الصيفي والشتوي، وبالنظر إلى هذه الميزات فإن العينة في هذه الحالة قد أصبحت **موضوعا** مستقلا للدراسة ولم تعد تأخذ المفهوم الكلاسيكي للعينات.

ويمكن الإشارة على سبيل المثال وليس الحصر للعينات التي تخلت عن مفهومها في البيئة الرقمية، (إذا قلنا أن هناك 200 حساب فيسبوك فهذا ليس بالضرورة وجود 200 شخص، بالإمكان أن يكون 50 شخص لكل واحد منهم أربعة حسابات فيسبوكية، كما يمكن أن نجد العكس حساب يستخدمه أكثر من شخص)، وهذا الفارق بين العينة في بيئتها الحقيقية والبيئة الافتراضية يمثل موضوعا إعلاميا للدراسة والتشخيص العلمي بدل التعامل معه كعينة.

5. مناهج بنسخة رقمية:

تم وصف الأساليب الرقمية سابقًا على أنها "مصطلح يسعى إلى التعرف على التطورات الحديثة في الأبحاث المتعلقة بالإنترنت، والتي تم تلخيصها على أنها مناهج للويب كمجموعة بيانات" (Hutchinson, 2016, p. 1)

النظرة الميكانيكية من طرف الباحثين في علوم الإعلام والاتصال إلى مجموع البرامج الرقمية يمثل انتقاصا من قيمتها العلمية أكثر من نظرتهم إليها كونها، خطوة مساعدة للباحث من أجل ربح الجهد والوقت في ظل السرعة التي تعرفها البيئة الرقمية، مع الإشارة إلى أن استخدام مثل هذه البرمجيات لا يعني عدم استخدام الباحث التحليل والتفسير والشرح والوصف والتنبؤ بالعلاقات بين مكونات البيئة الرقمية.

تم بناء البحث المعاصر الذي يشرك أساليب الوسائط الرقمية على "المنعطف الحسابي" حيث "تتأثر المناهج الحسابية بشكل متزايد عبر عدد من التخصصات، بما في ذلك الفنون والعلوم الإنسانية والاجتماعية، التي تستخدم التقنيات لتغيير الأرضية لمفاهيمها ونظرياتها".(Hutchinson, 2016, p. 1)

توظيف المناهج الحسابية والبرمجيات الرقمية يشكل دعامة أساسية وعنصر قوة بالنسبة للبحوث الإعلامية في البيئة الرقمية، خاصة إذا توفرت الشروحات المعمقة والتفسيرات التشعبية والإحاطة الكبيرة بموضوع البحث، سيما مع الخصوصية الرقمية لمختلف عناصر العملية الاتصالية، أبرزها المضامين المسماة هاشتاغ أو وسم.

تُستخدم الهاشتاغات Hashtags في مواقع الشبكات الاجتماعية المختلفة والتي تعمل كرابط لمحتوى مختلف بنفس السمة أو الفئة، وتعمل الهاشتاغات على زيادة ظهور أي منشور في أي وسائط

اجتماعية، مما يؤدي بدوره إلى زيادة عدد مشاهدي أي منشور معين في منصات وسائل التواصل الاجتماعي.(Chakraborty, Anbarasan, Pegu, & Boruah, p. 12)

المتفحص للفقرة أعلاه يجد أن المضمون الإعلامي قد تداخل دوره مع القائم بالاتصال، حيث تشير عبارة "تعمل الهاشتاغات على زيادة ظهور أي منشور" ما يبرز وجود قوة فاعلة في المضامين الرقمية يتحلى بها نوع معين من المضامين، كتلك التي تبدأ بالرمز #.

إن نظرة متفحصة للمضامين الإعلامية الرقمية على سبيل المثال تبرز مدى التداخل بين المضمون وصانع المضمون والجمهور الذي يستقبل المضمون في سياق واحد، وهذا بخلاف المضمون في البيئة الإعلامية التقليدية حيث يتم التعامل مع المضمون بشكل منفصل عن القائم بالاتصال والجمهور، وهذا التصور عن المضمون الإعلامي في البيئة الرقمية قد جعل من ضرورة إعداد مناهج رقمية لدراسته أمرا حتميا.

6. الكم والكيف صراع ميكانيكي في بيئة رقمية مرنة :

وضعت البرامج الإلكترونية الجديدة حدا للصراع القائم بين البحوث الكمية والكيفية، حيث تجمع بين ميزات البحث الكمي في جزئية ما، وتدرج ميزات البحث الكيفي في جزئية أخرى، وهكذا فإن البرمجيات الرقمية التي تُعنى بالتحليل قد تعاملت مع البحث الإعلامي في البيئة الرقمية بالبراغماتية الابستيمية استجابة لأهداف الدراسة (بطاهر، 2019، 154).

لا تسمح البيئة الرقمية بوجود مصطلح (الكم والكيف) في بحوثها، بل أصبحت تتسم بالبراغماتية في المجال الإبستيمي ولا يهمها سوى إيجاد حلول لمختلف الإشكاليات المنهجية التي تواجهها، فضلا عن محاولة التفصيل والاهتمام ودراسة مختلف تشعبات البيئة الرقمية التي لم تدرس بعد أو تلك التي لم تنل نصيبها الفعلي من الدراسة والفهم والتفسير والكتابة.

يشكل التقارب الحاصل بين البيئة التقليدية والحديثة في الإعلام والاتصال مطبًا يعرقل عمليات الوصف والتحليل والتفسير الدقيق للظواهر في البيئة الرقمية.

قبل فهم مفهوم التقارب الإعلامي ، تحتاج إلى معرفة مفهوم التقارب، إذ أن كلمة التقارب تعني تكامل فكرتين أو أكثر وإنشاء كل جديد بخصائص متشابهة، فعلى سبيل المثال، في التقارب الإعلامي تتلاقى وسائل الإعلام القديمة مثل التلفزيون، والصحف، والراديو، مع الوسائط الجديدة باستخدام التكنولوجيا الرقمية (Chakraborty, Anbarasan, Pegu, & Boruah, pp. 23-24).

بدوره لم يقدم التقارب الكثير للبيئة الرقمية لعلوم الإعلام والاتصال وجعل الباب مفتوحا على مصراعيه أمام الباحثين من أجل إيجاد حل للطريقة العلمية المثلى التي يتم من خلالها تشخيص وتوصيف وتفسير الظواهر الإعلامو-اتصالية في بيئتها الرقمية.

7. مقترح علمي:

ينبغي التأكيد أن الطبيعة الرقمية التي يجب أن تتصف بها البحوث والمناهج والنظريات لتفسير الظواهر الإعلامو-اتصالية في البيئة الرقمية ليست انسلاخا من الطابع الإنساني والاجتماعي المميز لهذه الظواهر، وإنما هو سعي لفهم الظواهر تبعا لأنطولوجيتها الرقمية، إذ لا يمكن تجريد الظاهرة من طابعها الرقمي، كما لا يمكن الاحتفاظ بهويتها الرقمية ودراستها بأدوات ومناهج وفلسفة نظرية غير رقمية.

ولأجل دراسة مختلف الظواهر البحثية في البيئة الرقمية سعى الباحث من خلال هذه الورقة البحثية إلى تقديم محاولة قصد تذليل الصعوبات أمام المشتغلين على البيئة الرقمية، وإعطاء تصور عام حول طريقة تشخيصها وحلحلة مشاكلها الإبستيمية.

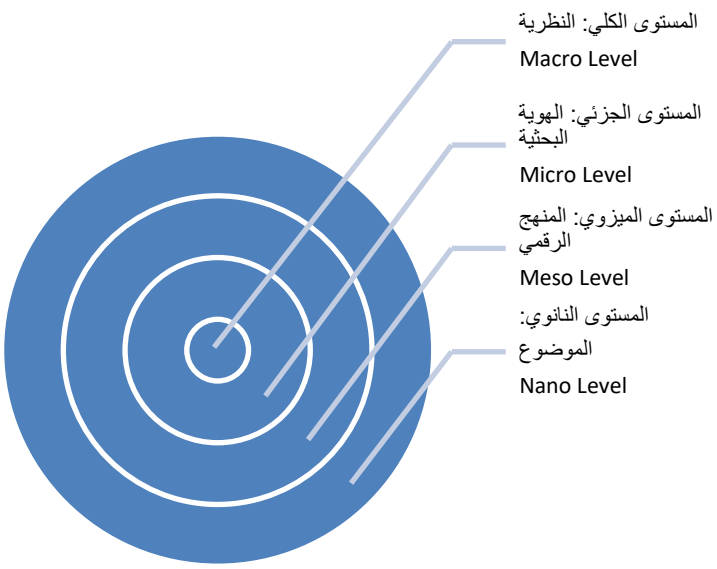

الشكل رقم 2 يوضح طريقة دراسة الظواهر في البيئة الرقمية[4]

الشكل أعلاه يمثل مقترحا لدراسة الظواهر الإعلامو-اتصالية في البيئة الرقمية، حيث تدرس الظواهر على أربعة مستويات ويتم التعمق في تشخيص الظاهرة أكثر كلما انتقلنا من مستوى إلى مستوى آخر، إذ أن المستوى الكلي هو الذي يحدد الأبعاد العامة لدراسة الظواهر في البيئة الرقمية ويتعلق هذا المستوى بالنظرية فهي من جهة أولى الخطوات في سبيل دراسة الظواهر، ومن جهة ثانية تتميز النظريات بشكل عام بطابعها الشمولي المحيط بمختلف الجوانب الخاصة بالموضوع، ليأتي الدور على المستوى الثاني الجزئي والمتعلق بالهوية البحثية حيث لاحظ الباحث أن الكثير من الدراسات في البيئة التقليدية فقدت بوصلتها العلمية للوصول إلى النتائج بسبب غياب الهوية البحثية، ويقصد بها التوجه العام والمعنوي للباحث الذي يجسد نظرته نحو المواضيع، فضلا عن ملاحظة الباحث وجود شرخ علمي كبير بين النظرية والمنهجية في بحوث البيئة التقليدية ولأجل ذلك جاء هذا المستوى ليربط بينهما ويزيل الشرخ العلمي، وبعد أن تقوم النظرية بالضبط المحكم للموضوع، والهوية بإبراز الملامح العامة له، يأتي المستوى الميزوي للدراسة والمتعلقة بالمنهجية الرقمية قصد الاقتراب أكثر من الموضوع ودراسته بشكل عملي أكثر،

[4] - شكل خاص بالباحث.

وفي الأخير يتم التركيز على الموضوع في مستواه النانوي الدقيق من أجل التعمق أكثر في كل الدقائق والجزئيات الصغيرة للمواضيع التي تتميز بها البيئة الرقمية.

8. استنتاجات عامة:

التأسيس النظري للبحوث في البيئة الرقمية يعتبر خطوة مهمة وأولية قبل البدء في المراحل الأخرى، وإغفال هذه الخطوة من شأنه أن يخلق الكثير من المشاكل المنهجية والموضوعية في البحوث المقدمة في هذا الشأن.

إن التطور الذي تشهده البيئة الإعلامية الجديدة من النسخة التقليدية إلى النسخة الرقمية، يجب أن يلحقه تطورا على مستوى المناهج التي تعالج هذه الموضوعات وتفسرها وتحاول تشخيصها بشكل علمي ودقيق.

استمرار التطور والتغير الحاصل في البيئة الرقمية بشكل متسارع وجذري من شأنه أن يجعل الأدوات البحثية المستخدمة في البحوث الكلاسيكية غير قابلة لدراسة موضوعات البيئة الجديدة، وبالتالي فهي أمام خيار أن تستحدث أدواتها أو تتبدد.

من بين أوجه التغير الحاصل في البيئة الرقمية العينات التي أصبحت تختلف اختلافا جذريا عن نسختها التقليدية.

أوجدت المناهج الرقمية لنفسها مكانة بين مختلف المناهج الخاصة بالبيئة الإعلامية الجديدة، وفرضت نفسها نظرا للهوية البحثية التي تشترك فيها مع خصوصية البيئة الرقمية.

الكم والكيف صراع منهجي قديم، واستمرار الحديث عنه في البيئة الرقمية من شأنه أن يفرمل حركة البحث في هذه البيئة.

قائمة المصادروالمراجع:

1. Alison Powell .(2010) .Methods, Methodology and New Media :A Review Essay .*New media and society*.1031-1025 ،(06) *12.*

2. Chakraborty, J., Anbarasan, P., Pegu, U. K., & Boruah, M. *NEW MEDIA.* Tezpur, Centre for Open and Distance Learning Tezpur University, India.

3. Hutchinson, J. (2016). An introduction to digital media research methods: how to research and the implications of new media data. *Communication Research and Practice , 2* (1).

4. Jiayin Qi ،Emmanuel Monod ،Binxing Fang و ،Shichang Deng 17) .February, 2018 .(Theories of Social Media: Philosophical Foundations .*Engineering*.

5. Moreno, M. A., & Koff, R. (2016). Media Theories and the Facebook Influence model.

6. Muhammad Intisar Alam ،Afreen Choudhury ،Saadia Shabnam .(2013) .An Emerging Method of Communication: Social Media Marketing and It's Social and Managerial Implications .*World Review of Business Research.*،(01) *03* .

7. Rob Cover .(2004) .New media theory: Electronic games, democracy and reconfiguring the author-audience relationship . *Social Semiotics*.(02) *14* .

8. هشام بطاهر. (06 مارس , 2019). أكسيولوجية البرامج الرقمية في تحديث منهجية علوم الإعلام والاتصال: دراسة حالة لبرنامج tropes8.4. *الباحث الإعلامي*.

9. هشام بطاهر. (2018). التأسيس النظري لعلوم الإعلام والاتصال انطلاقا من البراديغم السيبرنطيقي. *المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات* .

10. هشام بطاهر، و محمد الفاتح حمدي. (2021). الأصول النظرية للدراسات الايثنوغرافية في الإعلام الجديد، محاولة لتقسيم مستويات التحليل حول تطبيق الماسنجر. *المعيار ، 25* (54).